﴿وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ ٣١﴾ [فاطر: 31]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

العلاقةُ بين الأجورِ وزيادةِ الفضلِ، وبين كونِ الكتابِ حقًّا موحًى به

لمّا قال اللّه تعالى في حَقِّ أهل كتابه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ٢٩ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ٣٠﴾ [فاطر: 29 - 30]؛ بيَّن بعد ذلك أنّ هذا الكتاب الذي استَحَقّوا عليه الأجر هو الحق لا ريب فيه، وأنّ مِن أَخَصِّ خصائصه أنّه مصدِّقٌ لما سبقه من الكتب فيما قرَّرَتْه من الحقّ الإلهي، لا فيما نالها من الزّيف والتّحريف، فقال: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ﴾.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾: أصلُ (كتب) يَدُلُّ عَلَى جَمْعِ شَيْءٍ إلى شَيْءٍ، مِنْ ذَلِكَ الكِتابُ والكِتابَةُ، يُقالُ: كَتَبْتُ الكِتابَ أَكْتُبُهُ كَتْبًا[1]، أي: جمعته وضممت بعضَه إلى بعض عن طريق الرّقم والتّدوين، والكِتابُ في الأصل اسم للصّحيفة مع المكتوب فيه[2]، ويطلق في القرآن على اللّوح المحفوظ كما في قوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ﴾ [الحديد: 22]، وعلى الكتاب الإلهي الذي أنزله اللّه على رسله، كالتّوراة والإنجيل والقرآن، والمراد به هنا: القرآن الكريم.

2) ﴿مُصَدِّقٗا﴾: (صدق) أصلٌ يَدُلُّ عَلَى قوَّةٍ في الشَّيْءِ قَوْلًا

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (كتب).
(2) الرّاغب، المفردات: (كتب).

وغَيْرَهُ، ومِنْ ذَلِكَ الصِّدْقُ: خِلافُ الكَذِبِ، سُمِّيَ لِقوَّتِهِ في نَفْسِهِ، ولِأَنَّ الكَذِبَ لا قوَّةَ لَهُ، هوَ باطِلٌ، وأَصْلُ هَذا مِنْ قَوْلِهِمْ: شَيْءٌ صَدْقٌ، أَيْ صُلْبٌ، ورُمْحٌ صَدْقٌ، والصِّدّيقُ: المُلازِمُ لِلصِّدْقِ[1]، ويستعمل التَّصْديقُ في كلّ ما فيه تحقيق، يقال: صَدَقَني فِعْلُه وكتابُه[2]، ومعنى ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾؛ أي: موافقًا لما قبله من الكتب السّماوية المنزّلة على الأنبياء في العقائد وأصول الأحكام[3].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

خاطب الله تعالى رسوله ﷺ بقوله: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: الذي أوحينا إليك من القرآن هو الحق لا شك فيه ولا مرية، حالة كونه مُصدِّقًا لما سبقه من الكتب المنزلة على أنبياء الله، ومُهيمِنًا عليها جميعًا، والله تعالى هو الذي وضعه هذا الوضع، وأنزله على خاتم رسله محمد ﷺ ؛ لأن الحكمة والعدل يقتضيان ذلك، إن الله لخبير بشؤون عباده، بصير بأعمالهم، وسيجازيهم عليها[4].

القرآنُ حقٌّ مصدّقٌ للكُتبِ الإلهيّةِ الّتي أنزلها اللهُ الخبيرُ البصيرُ

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ الواوِ بين الاستئنافِ والعطفِ:

الواو في قوله: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ استئنافيَّةٌ، والجملة بعدها مُستأنَفَةٌ لبيان أنّ هذا الكتاب الذي أوحاه الله تعالى إلى رسوله ﷺ لا يشتمل إلا على الحق، وفي ذلك إبهاج للموحى إليه ﷺ، وقيل: الواو للعطف، والجملة معطوفة على جملة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: 29] المستأنفة، فهي مثلها في حكم الاستئناف[5].

إبهاجُ الموحى إليه ﷺ بما خصّه من الوحيِ الحقِّ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (صدق).
(2) الرّاغب، المفردات: (صدق).
(3) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 23/ 413.
(4) حجازي، التّفسير الواضح: 3/ 167، ونخبة من أساتذة التّفسير، التّفسير الميسر، ص: 438.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 309.

سرُّ التّعبيرِ بالاسمِ الموصولِ وصلتِهِ:

العدولُ إلى التّعريفِ بالاسمِ الموصولِ بيانٌ لفضلِ القرآنِ المُنزَلِ

عرّف المسند إليه باسم الموصول، دون الإضمار الذي هو مقتضى الظّاهر بأن يقال: وهو الكتاب الحقّ؛ لما في الصّلة من الإيماء إلى وجه كون هذا الكتاب وهو القرآن الكريم هو الحقّ الكامل، وفي هذا مَسرَّةٌ للنبيّ ﷺ، وبشارةٌ له بأنّه أفضل الرّسل وأنّ كتابه أفضل الكتب[1].

عودُ الضّميرِ في قولِهِ: ﴿إِلَيْكَ﴾:

مفادُ الخطابِ أنّه مُنزَّلٌ على النّبيّ الأوّابِ

ضمير الخطاب في قوله ﴿إِلَيْكَ﴾، مقصود به النّبي ﷺ، وهو وإن لم يَجْرِ له ذِكرٌ في الآية ولا فيما قبلها، لكنّه المعهود به بلا ريب، ولقرينة قوله تعالى قبل ذلك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: 29] ففُهِمَ أنّ الخطاب لمن أُنزل عليه هذا الكتاب الذي هو القرآن.

دلالةُ ﴿مِنَ﴾ في قولِه: ﴿مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾:

تنوُّعُ دلالةِ حرفِ المعنى مفيدٌ في بيانِ المُرادِ

وذلك أنّ تحديد معنى ﴿مِنَ﴾ مرهون بتحديد المراد بالموصول (الذي) المردود على ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾؛ فعلى كون المراد بـ ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن، وهو الظّاهر، فإن ﴿مِنَ﴾ تكون للتّبيين؛ إذ القرآن أخصّ من ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ﴾ مفهومًا، وإن اتَّحَدا ذاتًا[2]، أو أنّ غرض البيان هو إزالة ما في الموصول من إبهام[3]، أو أن يكون المراد بـ ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ الجنس فتكون ﴿مِنَ﴾ للتّبعيض؛ إذ المراد من ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ﴾ هو القرآن وهو بعض جنس الكتاب[4].

نكتةُ (أل) في لفظِ ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾:

معهودُ البيانِ في التّعبيرِ بالكتابِ عن القرآنِ

الأظهر أن (أل) في ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ للعهد، والمعهود هو القرآن لا غير، بقرينة قوله تعالى قبلُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: 29]

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 308، 309.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 366.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 309.
(4) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 366.

وقوله هنا: ﴿أَوۡحَيۡنَآ﴾، فحمل اللّفظ على أنّه اللّوح المحفوظ، فتكون (أل) للجنس ومن للابتداء[1] بعيد.

دلالةُ موقعِ الاسمِ الموصولِ (الَّذي):

الاسم الموصول (الَّذي)، هو في محلّ رفع مبتدأ، والجملة بعده هي صلته لا محلّ لها من الإعراب، وأمّا خبره فهو جملة ﴿هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾.

بلاغةُ القَصْرِ، وتعريف طَرَفَيِ الإسنادِ:

القصرُ الادّعائيُّ أظهرُ في ترجيح التّأويل المؤثر

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾ هو أسلوب قَصْرٍ، وطريقُه هنا هو تعريف الجزأيْن - المُسنَد إليه والمسنَد -، فقد أفاد تعريف الجزأين كما قال ابن عاشور: قَصْرَ المسنَدِ على المسند إليه، أي قَصْرَ جنسِ الحق على الذي أوحينا إليك، - على معنى: الحقُّ هو الذي أوحينا إليك لا غير - وهو قصرٌ ادِّعائيٌّ للمبالغة لعدم الاعتداد بحقّيَّة ما عداه من الكتب؛ لكونِ الكتب الإلهية لِما طالَها من التّحريف لا يُعتَدُّ بحقّيَّة ما فيها إلا من خلال تصديق القرآن لها فهو الشّاهد وهو الميزان، لقوله تعالى بعد ذلك: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ﴾، وأما ضمير الفصل ﴿هُوَ﴾ فلتأكيد ما أفاده تعريف المسند من القَصْر[2].

وقال الخَفاجيُّ: وقوله: ﴿هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾ إن كان الضّمير للفَصْل وقَصْدِ الحَصْر، فهو من قصرِ المسنَد إليه على المسنَد - أي قصرُ الموحَى به وهو القرآن على الحَقِّ، لا العكس؛ لعدم استقامة المعنى إلا أن يقصد المبالغة[3]، فيكون على هذا قَصْرًا ادِّعائيًّا على ما خرَّج ابن عاشور القَصْرَ عليه، ومنه فإنّ (أل) في كلمة﴿ٱلۡحَقُّ﴾ هي الجنسيّة، ولتعريف كلمة﴿ٱلۡحَقُّ﴾ بـ (أل) الجنسية، أثره ودوره في إفادة القصر، وهو قصر ادعائي لقصد المبالغة كما مضى بيانه.

(1) السّمين، الدّرّ المصون: 9/ 232، والآلوسي، روح المعاني: 11/ 366.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 309.
(3) الخفاجي، حاشية الشّهاب: 7/ 225.

سرُّ العدولِ عن (هو حقٌّ) إلى: ﴿هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾:

بـيـانُ الأثـرِ في كـونِ التّعريفِ آكـد مـن تنكيرِ الخبرِ

قوله: ﴿هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾ آكد من قول: هو حقّ؛ لأنّ تعريف الخبر يدلّ على أنّ الأمر في غاية الظّهور؛ لأنّ الخبر في الأكثر يكون نكرة، حيث إنّ الإخبار في الغالب يكون إعلامًا بثبوت أمر لا معرفة للسّامع به لأمر يعرفه السّامع، كقولنا: زيد قام، فإن السّامع ينبغي أن يكون عارفًا بزيد ولا يعلم قيامه فيُخْبَر به، فإذا كان الخبر أيضًا معلومًا، فيكون الإخبار للتّنبيه، فيعرَّفان باللام كقولنا: زيدٌ العالمُ في هذه المدينة، إذا كان عِلْمُه مشهورًا[1].

الموقعُ النّحويُّ لقوله ﴿مُصَدِّقًا﴾:

موافقةُ القرآنِ للرّسلِ دليلُ أحقيّتِهِ

قوله: ﴿مُصَدِّقًا﴾ منصوب على الحالية، والعامل فيه مقدّر يُفهم من مضمون الجملة قبله أي: (أُحقِّقُه مصدِّقًا) وهو حال مؤكدة، وإنما قال: ﴿لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ﴾ أي: لما سبقه وتقدمه من الكتب السّماوية؛ لأنّ أحقيَّتَه تستلزم موافقتَهُ الكتب الإلهيّة المتقدمة عليه بالزّمان في العقائد وأصول الأحكام[2]، وأمّات الأخلاق.

معنى اللّامِ في قولِهِ ﴿لِّمَا﴾:

اللّامُ في ﴿لِّمَا﴾ هي لام التّقوية، وأُدخِلت لام التّقوية على مفعول ﴿مُصَدِّقًا﴾ للدّلالة على تقوية ذلك التّصديق أي: هو تصديق ثابت مُحقَّقٌ لا يَشوبه شيء من التّكذيب ولا التّخطئة، فإنَّ القرآن نَوَّهَ بالتّوراة والإنجيل ووَصَف كُلًّا بأنّه هدًى ونورٌ[3]، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ﴾ [المائدة: 44]، وقوله سبحانه: ﴿وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ﴾ [المائدة: 46]، وقيل: الجارّ والمجرور

الـلّامُ الـزّائـدةُ للتّقويةِ ذاتُ أثرٍ في الدّلالةِ المرَعيَّةِ

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 238.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 152، والآلوسي، روح المعاني: 11/ 366.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/ 622.

﴿لِّمَا﴾ متعلّق بـ ﴿مُصَدِّقًا﴾، و(ما) اسم موصول بمعنى: الّذي، وهو في محلِّ نصبٍ مفعول به لاسم الفاعل ﴿مُصَدِّقًا﴾[1].

بلاغةُ الكنايةِ في ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾:

الـكـنـايـةُ عـن الـسّـابـقِ دلالـةٌ على ورودِ اللّاحقِ

قوله: ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ معناه ما سبقه من الكتب وبالأخص التّوراة والإنجيل، وهو كناية عن السّبق؛ لأنّ السّابق يجيء قبل المسبوق مُتقدِّمًا عليه، فكأنّه يمشي بين يديه كقوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾﴾ [سبأ: 46][2].

نكتةُ فصلِ جملةِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ﴾:

التّذييلُ تقريرٌ لأحقّيّةِ الكتابِ، وعلّةٌ لاصطفاءِ النّبيِّ الأوّابِ

هذه الجملة التّذييلية مقرِّرة لما تضمَّنَه قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ فهو كذلك لأنّ الذي أنزله هو الخبير البصير بعباده الذي يعلم بواطنهم وظواهرهم، ومن ثم فلا يكون كتابه مشتملًا إلا على الحقّ، كما أنّ هذا التّذييل يتضمن "جوابًا لما كانوا يقولونه: إنّه لِمَ لمْ ينزل على رجل عظيم؟ فيقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ﴾ يعلم بواطنهم و﴿بَصِيرٌ﴾ يرى ظواهرهم، فاختار محمدًا ﷺ ولم يَخْتَر غيره فهو أصلح من الكل[3].

فائدةُ تتابعِ المؤكِّداتِ في الفاصلةِ المُنتقاةِ:

أثـــرُ حـشـدِ المؤكّداتِ وتأكيد صـدقِ مـا أُنـزلَ من آياتٍ

تواردت المؤكّدات في جملة التّذييل مُمثَّلةً في: إنّ التّأكيدية، واسميَّة الجملة، وإظهار اسم الجلالة، الذي يربّي في القلوب المهابة، ثم اللام المزحلقة الدّاخلة على الخبر، وذلك كلّه "للاهتمام بالمقصود من هذا الخبر"[4]، وأيضًا لإقناع المنكرين لكون القرآن هو الحقّ، والحاقدين على رسول الله ﷺ بسبب اصطفائه دون غيره رسولًا لربّ العالمين.

(1) الخطيب وآخران، التّفصيل في إعراب التّنزيل: 22/ 243.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 309.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 238.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 309.

بلاغةُ الالتفاتِ من التّكلُّمِ إلى الغَيْبةِ:

في الآية التفاتٌ من التّكلُّم في قوله: ﴿أَوۡحَيۡنَآ﴾ إلى الغَيْبة في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ﴾؛ وذلك بإبراز اسم الجلالة وإظهاره، وذلك لما تضمنه الخبر من تقرير أحقيّة القرآن وعلوِّه على كلّ كلام، و"لحاجة المخبرين هنا إليه، لأنّهم البر والفاجر"[1] فمن النّاس البَرُّ الذي يُسلِّم للقرآن بهذه الأحقيَّة، فيزداد بإبراز الاسم الجليل اطمئنانًا ورسوخا، ومنهم الفاجر الذي يجحد هذا الوصف، ففي إبراز الاسم الجليل له تهديد وتخويف.

إبـــراز الاســم الجليل سكينةٌ لـلـبَرِّ الـنَّـبـيـلِ، وتخويفٌ للفاجرِ العليلِ

معنى الباءِ في قوله ﴿بِعِبَادِهِۦ﴾:

الباء هنا للمصاحبة وفائدتها الدّلالة على ملازمة علمه سبحانه لبواطن عباده وظواهرهم ملازمة مطلقة، وهذا ينتج أنّه سبحانه أعلمُ بما يُصلحهم وينفعهم؛ ومن ذلك إرساله للرّسول ﷺ وإيحاؤه القرآن إليه، وفيه المنهاج الحق والطّريق الصدق.

عِلْمُ اللهِ تعالى مُـلازِمٌ للثّقلين فلا يغيبون عنه طرفةَ عينٍ

نكتةُ إضافةِ (العبادِ) إلى ضميرِ العَظَمَةِ:

في إضافة (عباد) إلى ضميره سبحانه تشريف لهم وتكريم، ومثله إضافة اللفظ نفسه إلى ضمير التّكلم في قوله تعالى: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ﴾ [الزّمر: 53].

الإضافةُ للتّكريمِ والتّشريفِ مُبينة عن البيانِ المنيفِ

نكتةُ تقديمِ شبهِ الجملةِ ﴿بِعِبَادِهِۦ﴾:

قدَّم شبه الجملة ﴿بِعِبَادِهِۦ﴾ على الخبر لأجل الاهتمام ولتنازع لفظي ﴿لَخَبِيرُۢ﴾ و﴿بَصِيرُۢ﴾.

معنى اللّامِ في قوله ﴿لَخَبِيرُۢ﴾:

اللّام في قوله ﴿لَخَبِيرُۢ﴾، هي اللّام المزحلقة التّي تدخل على الخبر فتفيد التّأكيد.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 53.

دلالةُ الجمعِ بين صِفَتَي الخبيرِ والبصيرِ:

تـقـديـمُ أعـمِّ الصّفتيْن دلالةٌ عـلـى الـعِـلـمِ الشّموليِّ المكينِ

قوله: ﴿لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ تابع فيه بين صفتين جليلتين للّه ﷻ، وهما صفتا (خبير - وبصير)، وجمع بينهما للدّلالة على علمه سبحانه ببواطن عباده وظواهرهم، ومقتضاه أنّه الأعلم بهم وبما يصلحهم، فالخبير: العالم بدقائق الأمور المعقولة والمحسوسة والظّاهرة والخفية، والبصير: العالم بالأمور المُبْصَرَة، وعلى ذلك يكون السّر في تقديم الخبير على البصير؛ لأنّه أشمل، وذِكْر البصيرِ عَقِبَه للعناية بالأعمال التي هي من المُبْصَرات وهي غالب شرائع الإسلام[1]، وقيل: الخبير هو العالم ببواطن أحوال عباده، والبصير هو العالم بظواهرها[2]، وعليه قيل: قدّم ﴿لَخَبِيرٌ﴾ للدّلالة على أنّ العمدة في الوحي وجودًا وعَدمًا الأمور الرّوحانية النّفسانية، فإنّ النّبوة منصب عظيم لا يليق إلا بعظيم، وأنّ النّبوة رتبة روحانية تستدعي عظيم النّفس بالتّحلي بالفضائل والكَمالات القدسية، لا التّزخرف بالزخارف الدّنيوية[3].

غرضُ تنكيرِ الاسمَيْن الجليلَيْن:

دلالـةُ صيغةِ المبالغةِ وتنكيرها عـلـى الـتّـنـاهـي والعظمةِ

وقوله: ﴿لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ صيغتا مبالغة والهدف من ورودهما وسائر صفاته سبحانه على أسلوب المبالغة؛ للدّلالة على التّناهي في معنى الصّفة بما يليق بجلاله سبحانه وكماله، وأيضا لكثرة متعلّقاتهما، ولأجل هذا أيضًا وردتا بصيغة النّكرة تفخيمًا وتعظيمًا.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

القرآن والذّكر والكتاب والفرقان:

كلٌّ من: القرآن والذّكر والكتاب والفرقان وغيرها، أسماء لمسمى

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 310.
(2) ابن التّمجيد، حاشية ابن التّمجيد مع القونويّ: 16/ 64.
(3) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 64، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 152.

مطابقةُ الألفاظِ للمُسمَّى الواحدِ من وجهٍ، واستقلال معانيها باعتبارِ آخر

واحد هو كتاب الله المنزل على سيدنا محمد ﷺ للتّعبد والإعجاز، لكن كلّ اسم منها يقال باعتبار معين، وقد سَمَّى الله تعالى القُرْآنَ بِخَمْسَةٍ وخَمْسينَ اسْمًا وقد أفاض السيوطي في الإتقان في بيان معانيها[1].

فمن أسمائه: القرآن والأظهر فيه أنه سُمّيَ كذلك لكونه مقروءًا بالألسنة متلوًّا بها.

ومن أسمائه: الكتاب وذلك لجمعه أنواع العلوم والقصص والأخبار على أبلغ وجه والكتاب لغة الجمع[2]، وأيضًا لكونه مدوَّنًا مكتوبًا في السماء ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۝١٦﴾ [عبس: 15 - 16] وفي الأرض في المصاحف.

ومن أسمائه: الذكر وذلك لِما فيه من المواعظ وأخبار الأمم الماضية، والذِّكْر أيضًا الشرف قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: 44]، أي شرف؛ لأنه بلغتهم[3]، ومن أسمائه: الفرقان لأنّه فرق بين الحق والباطل[4].

العبيد والعباد:

كلُّ العبادِ عبيدٌ، وليس كلُّ العبيدِ عبادًا

قال الرّاغب: العُبوديَّةُ: إظهار التّذلّل، والعِبادَةُ أبلغُ منها، لأنّها غاية التّذلّل، ولا يستحقّها إلا من له غاية الإفضال، وهو الله تعالى، ولهذا قال: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: 23][5]، وكلّ النّاس هم لله عبيد لكونهم مخلوقين له ومقهورين له، لكن يفرق في التّعبير بين العباد والعبيد في كون العباد قد اختاروا طريق الطّاعة لله فانقهروا لأوامره عن محبة واختيار، ولذلك كان نصيبهم في الاستعمال القرآني في مقامات المدح والثّناء، كما في قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ

(1) السيوطي، الإتقان: 1/ 178.
(2) السّيوطي، الإتقان: 1/ 181.
(3) السّيوطي، الإتقان: 1/ 183.
(4) السّيوطي، الإتقان: 1/ 183.
(5) الرّاغب، المفردات: (عبد).

﴿يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾ [الفرقان: 63] ونحوه وهو كثير في القرآن، فالنّاس في هذا ضربان كما يقول الرّاغب: عبدٌ لله مخلص، وهو المقصود بقوله: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ﴾ [ص: 41]، وقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا ٣﴾ [الإسراء: 3] وعَبْدٌ للدّنيا وأعراضها، وهو المعتكف على خدمتها ومراعاتها، وعلى هذا النحو يصحّ أن يقال: (ليس كلّ إنسان عَبْدًا لله)، فإنّ العَبْدَ على هذا بمعنى العابِدِ، لكن العَبْدَ أبلغ من العابِدِ، والناس كلّهم عِبادُ الله بل الأشياء كلّها كذلك، لكن بعضها بالتّسخير وبعضها بالاختيار، وجمع العَبْدِ الذي هو مُسترَقٌّ: عَبيدٌ، وجمع العَبْدِ الذي هو العابِدُ عِبادٌ، فالعَبيدُ إذا أضيف إلى الله أعمّ من العِبادِ، ولهذا قال: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ٢٩﴾ [ق: 29]، فنبّه أنّه لا يظلم من يختصّ بِعِبادَتِهِ ومن انتسب إلى غيره من الّذين تسمّوا بِعَبْدِ الشّمس وعَبْدِ اللّات ونحو ذلك[1]، وبهذا نفهم أنّ لفظ العباد أخصّ من لفظ العبيد، فكلّ العباد عبيد، وليس كلّ العبيد عبادًا.

(1) الرّاغب، المفردات: (عبد).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والأربعون،
سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والأربعون، سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 47 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-731-00-9
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 47 : المجلد السابع والأربعون، سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-731-00-9
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0968178 بتاريخ 2025/01/23م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»